الدرس 14

**مضامين الموشحات والأزجال الأندلسية**

**تعريف الموشح:**

**لغة:** لفظ مأخوذ من معنى الوشاح و الوشاح من حلي النساء, وهو كرسان, أي نظان من لؤلؤ و جوهر منظومان, مخالف بينهما, معطوف أحدهما على الآخر...كما يقول الجوهري في الصحاح: شيء ينسج من أديم عريضا و يرصع بالجواهر, و تشده المرأة بين عاتقيها و كشحيها).

**اصطلاحا:** (الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص بقواف مختلفة, و هو يتألف في الأكثر من ستة أقفال و خمسة أبيات, ويقال له التام, وفي الأقل خمسة أقفال و خمسة أبيات و يقال له الأقرع, فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات).

إن المؤرخين لهذا الفن الشعري لم يشيروا إلى سبب تسميته, لكنها تركت الاجتهادات الدارسين وتفسيراتهم, و إن كانت بشكل أو بآخر تعود لترتبط بالأصل اللغوي, فمنهم من ربطها بكلمة الوشاح,(فكأنهم شبهوه بوشاح المرأة المرصع باللؤلؤ و الجواهر).

ومنهم من يرى أن الشبه بين الموشحات والوشاح ظاهر في اختلاف الوزن والقافية في الأبيات و جمعها في كلام), ومنهم من يقول أنها منقوله عن قولهم ثوب موشح, وذلك لوشي يكون فيه, فكأن هذه الأسماط والأغصان التي يزينونه بها, هي من الكلام في سبيل الوشي من الثوب).

و مهما يكن سبب التسمية, لا يمكن لنا أن نتناسى ولع الأندلسيين بمثل هذه التسمية خاصة أنها تشير إلى الزخرفة و التزيين, ولا شك أن الموشح من أشد الشعر تزيينا.

ويشير ابن سنا إلى ما يمكن به تعريف الموشح الشعري فيقول: "كلام منظوم على نحوٍ مخصوص، وهو يتأّلف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات، ويقال له التام. وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات، ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات".

**و خلاصة القول** أن الموشح لون شعري جديد يختلف عن ما سبقه بابتعاده عن الأوزان الخليلية المعروفة أحيانا, و باستعماله العامية في بعض أجزائه, وبكونه ينظم كي يلحن ويغنى.

**نشأة الموشحات الأندلسية:**

ولادة الموشحات الأندلسية كانت نتيجةً طبيعيةً للرخاء والتقدم الفكري والاتصال بالثقافة الأخرى، و على وجه الخصوص الإسبانية، وإن كان الاختلاف قائماً حول النشأة الأصلية لفن التوشيح. وما إذا كان متأثراً بشكل أكبر بأغاني الإسبان، أو كان تطويراً للقصيدة العربية وأن البداية كانت في المشرق.

هناك اختلافٌ بين النقاد وعلماء اللغة حول تاريخ ونشأة الموشحات وهل بدأت بالأندلس أم أنها بدأت بالمشرق ومن ثم انتقلت إلى الأندلس.

السبب في ذلك هو الخلاف حول الصاحب الحقيقي لنص "أيها الساقي"، إذ يشير الأدباء والنقاد مثل الدكتور كامل الكيلاني أن ذلك الموشح كتبه الشاعر العباسي عبدلله بن المعتز.

وهو كان الأساس في رصف الطريق لفن الموشحات الذي تطور في الأندلس، بيد أن كثيرا من النقاد يختلف مع هذه الوجهة، ومنهم ابن سنا الملك (الذي كان أول من جمع أوزان الموشحات.)، إذ يشير إلى أن هذا النص يعود للوشّاح الأندلسي أبي بكر بن زهر، وفي مطلعها يقول:

أيها الساقي إليك المشتكى ... قد دعوناك وإن لم تسمعِ

وإن كان الأدباء والنقاد في خلاف حول صاحب ذلك النص، إلا أنهم يتفقون على أن نشأة الموشحات الأندلسية كانت في القرن الثالث الهجري.

ولكن بلغت أوجها على يد الشعراء الأندلسيين، و لا سيما أن الموشحات كما الشعر الحر تعتبر ثورة على قواعد العروض والقافية الموحدة.

وكان من وضع أسسها في الأندلس الشاعر محمود القيري أو كما يطلق عليه الضرير، وتطور الموشح في الأندلس في القرنين التاسع والثامن، ويقول ابن خلدون: "أما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ فيه التنميق الغاية، استحدث المتأخرون فناً سموه الموشح".

وكان المخترع له مقدم بن عافر الفريري وأخذ عنه ذلك أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد"، وإن اختلف الأدباء والنقاد، فإن الموشحات في النهاية فن شعري عربي، ورغم إشارة بعض المستشرقين إلى أن الموشحات فيها عناصر إسبانية إلا أنهم لم ينكروا أصلها العربي.

**أقسام بناء الوشح:**

يقسم الموشح بحسب بنائه إلى عدة أقسام، هي:

**المطلع:** وهو الأشطر الأولى من القصيدة. **القفل:** وهو الأشطر التي تطابق المطلع بالقافية، وغالباً لا تتجاوز الخمس أقسام في الموشح الواحد. **الدور:** وهو الأشطر أو الأقسام التي تلي المطلع وتخالفه في القافية، ولا يتجاوز عددها الخمس أقسام. **البيت:** وهو الذي يتألف من الدور والقفل الذي يليه. **الخرجة:** وهي القفل الأخير الذي يختتم به الموشح.

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمعِ (مطلع)

ونديم همت في غرّته (دور)

وبشرب الراح من راحته (دور)

جذب إليه الزق واتكى وسقاني أربعاً في أربع (قفل)

غصن بانٍ مال من حيث ما التوى (دور)

مات من يهواه من فرط الجوى (دور)

كلما فكر في البين بكى ويحه يبكي لمن لم يسمعِ (قفل)

قد نما حبي بقلبي وزكا لا تقل في الحب إني مدعي (خرجة)

**أغراض الموشحات وموضوعاتها:**

لم تختلف الموشحات من حيث أغراضها وموضوعاتها عن أغراض وموضوعات الشعر العربي المكتوب في المشرق، وإن كان يختلف بالشكل والوزن عن الشعر العربي، ومن أهم أغراض الموشحات:

**الغزل:**

يكاد يكون الغزل من أكثر الأغراض التي تأخذ مكان الصدارة في الموشحات، وهو ما ارتبط بالرخاء والميل إلى الفرح واللهو وكثرة مجالس الغناء، والتي تتردد فيها قصائد الغزل.

قال أبو بكر بن زهر في الحب واللهو:

حي الوجوه الملاحا وحي نجل العيون

هل في الهوى من جناح

وكيف أرجو صلاحاً بين الهوى والمجون

وابن سناء الملك (وهو شاعر وأديب عاش بين 550 ه‍ و608 ه‍ وله كتاب الطراز في عمل الموشحات - أول كتاب نظر في وزن وكتابة الموشحات)، فمحبوبته أضحت جزءاً من روحه، فكان أن أضناه هيامه، فقال:

يا شقيق الروح في جسدي أهوىً بي منك أم ألم

ما يريد البين من خلدي وهو لا خصمٌ ولا حكم

ويصف الشاعر الأندلسي الأعمى التطيلي حاله لشدة شوقه وحبه، ويعلق أمره في يد من يحب، فهو من يملك شفاءه، فقال:

دمع سفوح وضلوع ونار ماء ونار ما اجتمعا إلا لأمر كبار

عبد المليك أحبك ولا سبيلٌ إليك

مولاي حسبي وحسبك قد ذبت عليك

حتى ما تُضني مُحِبك وبرؤه في يديك

**الوصف:**

شكل الوصف غرضاً أساسياً من أغراض الموشحات الأندلسية، وكثيراً ما كان يمتزج بالغزل، ولكن هناك كثير من الموشحات التي كان غرضها فقط الوصف، فهذا الشاعر أبو جعفر بن سعيد يصف الطبيعة، إذ قال:

ذهّبت شمسُ الأصيلْ فضة النّهرِ

فهو كالعضبِ الصقيل حُفّ بالشّفرِ (العضب تأتي بمعنى السيف القاطع)

**المدح:**

من الأغراض التي سادت في الموشحات الأندلسية غرض المدح، وكثيراً ما استعمله الوشّاحون بهدف الكسب وأخذ العطايا من الملوك والوزراء.

ومن أمثلته، يمدح الشاعر الأندلسي لسان الدين بن الخطيب الوزير أبا عامر بن ينق الملقب بالحاجب المنصور، الذي كان من أشهر الوزراء في عهد الخلافة الأموية في الأندلس، فيصفه بأنه حاكم كل الناس ونورهم وأشجع فرسانهم، فقال:

أنتَ العزيزُ الأبيّ واَلملكُ مَلْكُ الأنامْ

أنت السراجُ الوضيّ البدرُ بدرُ التّمامْ

ليث إذا ما الكميُّ قد هابَ روعَ الحِمامْ

**الزهد والتصوّف:**

ومن الموشحات التي انتشرت في الأندلس موشحات الزهد والتصوف، ومن أشهر من كتب الموشحات التي تحمل طابع التصوف والزهد، الشاعر المتصوف محي الدين بن عربي، ومن أشهر ما قاله في الزهد:

تدرّع لاهُوتي بناسُوتي وحصّل مُوسى اليَمّ تابُوتي

عندما لاحَ لعيني المتّكا ذبتُ شوقاً للذي كانَ معي

غربة منه وسُكْر فالبُكَا ليس محموداً إذا لَمْ ينفع

أيها الساقي اسقني لا تأتل

أيها السّاقي إليك المشتكى ضاعتْ الشكوَى إذا لم تنفع.

تعد موشحة الشاعر **لسان الدين الخطيب** من أكثر الموشحات التي انتشرت وشاعت لما فيها من رقيق الكلام وعذبه، وقدرة على التصوير.

وفيها يصف حاله مع محبوبته، فيتذكر أيام الوصل واللقاء، وكيف غدت سراباً سرعان ما اندثر، فيقول:

جادك الغيـث إذا الغيـث همـى .. يـا زمـان الوصـل بالأنـدلـس

لـم يكـن وصـلـك إلا حلـمـاً .. في الكرى أو خلسـة المختلـس

إذ يقـود الدهـر أشتـات المنـى .. ننقـل الخطـو علـى ما تـرسـم

زمـرا بـيـن فُــرادى وثـنـا .. مثلمـا يدعـو الحجيـج الموسـم

في ليـال كتمـت سـر الهـتوى .. بالدجـى لـولا شمـوس الغُــرر

مال نجـم الكـأس فيهـا وهـوى .. مستقيـم السيـر سعـد الأثــر

وطرٌ ما فيه مـن عيـب سـوى .. أنـه مــرَّ كلـمـح البـصـر

حيـن لـذّ النـوم شيئـاً أو كمـا .. هجـم الصبـح هجـوم الحـرس

يا أهَيلَ الحي مـن وادي الغضـا .. وبقلبـي مسـكـنٌ أنـتـم بــه

ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا .. لا أبالـي شرقـه مـن غـربـه

فأعيدوا عهـد أنـس قـد مضـى .. تعتقـوا عبدكـم مــن كـربـه

قـد تسـاوى محسـنٌ أو مذنـبٌ .. فـي هـواه بيـن وعـدٍ ووعيـد

أحـور المقلـة معسـول اللمـى .. سدد السهـم فأصمـى إذ رمـى.

يصف الشاعر **ابن زمرك** (أبو عبدلله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد) شوقه لمنبته ومسقط رأسه غرناطة، وبتذكر عهده فيها كلما هبت نسمةٌ من صوبها، فقال:

أبلغ لغرنـاطـة السـلامْ وصفْ لها عهديَ السليمْ

فلو رعى طرفها ذمـام ما بتّ في ليلـة السـليمْ

كم بثّ فيها على اقتراح أُعلّ من خمرة الرضـاب

أدير فيها كؤوس راح قد زانها الثغر بالحبـاب

أختال كالمهر في الجماح نشوانَ في روضة الشباب

أضاحك الزهر في الكمام مباهيا روضه الوسـيم

وأفضح الغصن في القوام إن هبّ من جوّها النسـيم

وفي موشحة للشاعر **ابن مالك السرقسطي** (لقب بالوزير الكاتب)، يصف فيها جمال محبوبته ورقتها فيقول:

حُثّ كأس الطّلا على الزهر

وطيور نطقن بالسحر حيـ ن هب النّسيمُ في السّحَر

ويصف الشاعر **أبو بكر يحيى** (الذي لقب بالسرقسطي الجزار) حالة التعب والاعتلال التي وصل إليها، بسبب ما يلاقيه من محبوبته التي لا تنصف معاملته، فقال:

وواعدني السّقمَ حتى انتهكْ فُؤادي فيا وَيحْتَاَ قد هَلَكْ